بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس التنفيذي

ملف إحياء تراث علماء الشيعة

جمعية الإمام الصادق(ع) لإحياء التراث العلمائي

التراث

السنة الثالثة - العدد السادس والثلاثون- كانون الأول ٢٠١٤م/ صفر ١٤٣٦هـ

نشرة شهرية متخصصة تعنى باحياء تراث علماء الشيعة

مناسبات الشهر

(بطاقة عالم)

توفي في ١٠صفر سنة ١٣٣٤هـ، إنّه العلامة الشيخ حسين إبن الشيخ حسن إبن الشيخ حسين إبن محمد العاملي الجبعي.

وعُرف هذا العالم بآل المحمد لأنه من نسل الشيخ محمد بن محمود العاملي، وكانت تربطه بآل الحر في جباع خؤولة، ولذلك كان البعض ينسبهم إلى الحر، ولكن حتى يتمايزوا عنهم كانوا يقولون نحن آل محمد.

ذكره الشيخ محمد مغنية في كتابه (جواهر الحكم)، فقال: «كان عالماً فاضلاً كاملاً تقياً ورعاً سخياً، وكان غاية في حسن الخلق مضافاً لرقة طبعه، فكان يتأثّر بكل مشهد حزين». وهذا ما سبّب له مشكلة صحية بات يتأثّر بكل ما فيه حزن أكثر من المتعارف، وينقل السيد الأمين أنّ أحد أقاربه في النجف كان سيء الطباع وكان يؤذي الشيخ حسين كثيراً ويؤذي غيره أيضاً، وعلى ما يظهر كان فيه مسٌّ من الجنون، حتى أنه ذات يوم ذهب إلى إيران وأرسل إلى النجف كتاباً يخبر فيه الحوزة أنه (مات) وعندما وصل الكتاب كان الشيخ حسين يبكي عليه كثيراً، وعندما قال له البعض: هذا كان يؤذيك لماذا تبكي عليه؟ فقال: بداعي الشفقة على آخرته. وعندما عاد ذلك الرجل من إيران سألوه لماذا فعلت ذلك؟ قال: حتى أعرف من يحبني ومن يشمت بي! إنه مريض يستحق الشفقة، أمّا الشيخ حسين فكان عالماً فاضلاً طيباً رقيقاً.

وذكره الآغا برزك في الطبقات فقال: «نشأ في بيت العلم، وهاجر إلى العراق سنة ١٢٦٢هـ ومكث سبع عشرة سنة حضر خلالها على مشاهير العلماء وأفاضل المدرّسين كما ذكره لنا بعض المعمّرين، وأثنى عليه كثير من العلماء وعلى صلاحه وتقواه».

عاد إلى جبل عامل سنة ١٣٠٩هـ فكانت له مكانة مرموقة، وكان من أبرز علماء تلك المرحلة.

لاستفساراتكم واقتراحاتكم يرجى التواصل على العنوان التالي:

toorath@hotmail.com

70 - 61 68 08

تصميم وطباعة شركة DEJA 00961 3 336218

شخصية العدد

العلامة الشيخ يوسف الفقيه الحاريصي العاملي

ولد **العلامة الشيخ يوسف الفقيه** في قرية (حاريص) من جبل عامل سنة ١٢٩٧هـ.

وآل الفقيه لقبٌ عُرِفت به العائلة، وجذورها تعود إلى قبيلة (شمّر) بالعراق وأحد أفخاذها (العوادل)، ولها انتشار واسع في عدة مناطق من لبنان (حاريص، شوكين، النبطية، كفرتبنيت، حولا، المروانية، كفرا، حداثا، الطيري، عيترون، صور، عنقون، أنصارية، السكسكية، صريفا، ربّ ثلاثين، الصرفند، معروب، علي النهري البقاع، بعلبك، والهرمل).

وعلى ما يظهر، فغيرُ معروف زمنُ وجود العائلة في (حاريص)، وهناك آبار مياهٍ قديمة ما بين طريق بنت جبيل وحاريص وصور، وتعرف البئر الواقعة شمالي حاريص باسم (فقيه علي)، ويقول كبارُ السن: أنّ الآبار كانت ولكنّ السيول دفنت أكثرها.

والده الحاج علي نجل الشيخ محمد عبد الله الفقيه، عاش اليتم وهو ابن عشر سنين، وأصبح لاحقاً من الرجال الطيبين الشجعان الملازمين للعلماء، وبيتُه كان مفتوحاً لاستقبال العلماء ومحطة في مشروع (إصلاح ذات البين) ولذلك لُقب (بابن مُصلح).

الشيخ يوسف الفقيه خرج من هذا البيت المليء بالإيمان والحضور الإجتماعي، تعلّم القرآن الكريم وهو ابن ست سنوات وذلك خلال ثلاثة أشهر، كما تعلم القراءة والكتابة، وحفظ الأدعية والأقوال المأثورة.

بعد ذلك شدّ الرحال إلى قرية (عيتا الجبل) فدرس النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان وشرائع الإسلام ومعالم الدين في الأصول «للشيخ حسن نجل الشهيد الثاني» وذلك على السيدين الجليلين السيد حيدر والسيد جواد آل مرتضى، وهما أبناء السيد حسين مرتضى وينتهي نسبهم الشريف إلى الإمام الحسين عليه السلام، وكان لهذا البيت دورٌ أساسي في بناء الحياة العلمية في جبل عامل من خلال مدرسة (عيتا

الجبل) أو ما قام به السيد جواد مرتضى في بعلبك.

ترك (عيتا الجبل) وانتقل إلى قرية (عيناثا) فدرس على السيد الفاضل السيد نجيب الدين فضل الله نجل العلامة السيد محي الدين فضل الله، وكان السيد نجيب من تلاميذ العلامة الشيخ موسى أمين شرارة في بنت جبيل، فدرس الشيخ يوسف الفقيه عليه (القوانيين في الأصول)، وهي مرحلة السطوح قبل بلوغه بحث الخارج، كما قرأ عليه جملة من كتاب (الرياض) في الفقه.

في أواخر جمادى الثانية ١٣١٨ هـ قرّر الشيخ يوسف ترك جبل عامل والتوجه نحو النجف الأشرف لاستكمال الدرس على أساطين حوزتها العلمية.

عُرف الشيخ يوسف في النجف بين أقرانه والأساتذة أنه ممن يُرهق نفسه بالدرس والتحصيل والجد والإجتهاد، فدرس على المحقق الخراساني الشيخ الآخوند صاحب (كفاية الأصول)، كما درس على فتح الأصفهاني المعرف بشيخ الشريعة، وقرأ الفقه على كبير فقهاء العرب الشيخ محمد طه نجف، وبعد وفاته سنة ١٣٢٣هـ إنتقل بالدرس على الشيخ علي رفيش والشيخ محمود ذهب، وكان يتذاكر ويتباحث في دروسه مع الشيخ باقر الجواهري وأخيه الشيخ صادق والشيخ عبد الحسين الحلي وغيرهم، وكانت تجمعهم المذاكرة العلمية والمباحثة والصداقة في نفس الوقت.

برز الشيخ يوسف في النجف وجهاً من الوجوه الأساسية بين العلماء العامليين، وكان يُقيم مجلس عزاء عصر كل جمعة في بيته ويكون مناسبةً للحوار والمناقشات العلمية، وهذه طبيعة أهل العلم في جلساتهم، فبعد مجلس العزاء وأثناء شرب (الشاي) يبدأون بالحوار والمناقشة في مسائل علمية متفرّقة، وكان الشيخ محمد علي صندوق في حي الأمين في (دمشق) من الملازمين للعلامة السيد محسن الأمين قدس سره، يُقدم الشاي في ذلك المجلس تبرعاً منه.

وبالفعل هذا المجلس إستمر في النجف الأشرف إلى زماننا نحن، وعندما كان يأتي نجله الأستاذ الشيخ محمد تقي الفقيه إلى زيارة النجف كنا نلتقي معه على شاكلة ذاك المجلس الذي استمر طويلاً ولكن كل ليلة جمعة، حيث كان يجتمع فيه الطلاب على اختلاف طبقاتهم العلمية وكان الأبرز في ذلك الوقت العلامة الشيخ حسن طراد.

عاد الشيخ يوسف إلى جبل عامل سنة ١٣٢٥هـ، حاملاً معه بعض الإجازات في الإجتهاد التي يعتز بها، وممن منحه إجازة بالإجتهاد أستاذه الشيخ الآخوند ومما جاء فيها: «العلامة الفهّامة الشيخ يوسف الفقيه الحاريصي العاملي، قد جدّ في طلب العلم فنال منه الغرض الأقصى، فأصبح بحمد الله عالماً محققاً وفاضلاً مُدققاً ومجتهداً مطلقاً يُرجع إليه في حلّ المشكلات، ويُعتمد عليه في فصل الخصومات».

أمّا أستاذه الآخر شيخ الشريعة أجازه بالإجتهاد وممّا جاء في إجازته: «الشيخ يوسف الفقيه كدَّ وجدَّ حتى بلغ درجة الإستنباط وترقّى من حضيض التقليد إلى أوج الإجتهاد، وهو محلاً لأن يُرجع إليه في معرفة الأحكام، والراد عليه راد على الله وهو على حد الشرك بالله عز وجل».

وممّا قاله كبير فقهاء العرب الشيخ محمد طه نجف بحقّه: «إذا أردتم أن تتعلّموا علمي وتتفقّهوا فقهي الذي هو فقه وعلم أهل البيت عليهم السلام، فعليكم بالشيخ يوسف الفقيه الحاريصي».

وفي لبنان، إستقبله في بيروت العلماء والأعيان جرياً على العادة في استقبال العلماء والعائدين من النجف الأشرف، واستقبله الناس في مدينة (صور) وساروا معه سيراً على الأقدام إلى وادي (عاشور) الذي يبعد مسافة ساعة مشياً على الأقدام عن حاريص، وفي البلدة زاره العلماء مهنّئين ومختبرين لفضله ومناقشته، وكان في ذلك الوقت العلامة السيد علي محمود الأمين قد تأخر عن زيارته، واتفق ذات يوم بأن جاءت فتوى من السيد الأمين إلى الشيخ يوسف الفقيه فعلّق عليها وردّها إليه، وعندما قرأ التعليقة السيد علي محمود الأمين، زاره في حاريص على الفور، وبعد فترة ردّ الشيخ الفقيه الزيارة للسيد واستمرّ اللقاء إلى الفجر بحضور بعض أهل العلم.

أمّا الدور الذي قام به في (حاريص) والمنطقة، فمضافاً للتبليغ الديني - الذي هو من المسلّمات عند علماء جبل عامل - من وعظ وإرشاد وإحياء المناسبات الدينية والصلاة على الأموات وإصلاح ذات البين، تصدّى الشيخ يوسف الفقيه لحلّ الخصومات التي تحتاج إلى اجتهاد وإدراك وقدرة على تطبيق الأحكام، مضافاً إلى قبول عامة الناس بالحكم الصادر عنه.

أمّا منزله، فكان دائم الحضور للأعيان وحلّ المشكلات وللأدباء والشعراء.

إضافةً إلى ما ذكرناه له من دور، كانت له مشاركةٌ علمية وأدبية في جبل عامل، فلم ينصرف بالكامل نحو التبليغ الديني بل كان يترك قسطاً من أوقاته للتصنيف والتدريس، والآثار العلمية التي تركها تُدلّل على مكانته وعلى اهتمامه، وله العديد من الآثار ومنها:

- شرح شرائع الإسلام خرج منه مجلد كبير ويحتوي أكثر أبواب الطهارة.
- دورة أصول كاملة (كتبها في النجف الأشرف).
- رسالة في مسائل معقّدة، مرتبطة بالولايات والخيارات وبعضها ليس موجوداً في كتب الفقه.
- كتاب المدنية والإسلام (يشتمل على فلسفة الأحكام بعد عرضها).
- كتاب مصابيح الفقه (يحتوي على أكثر أبواب الفقه من غير العبادات) وفيه يعرض المسائل الخلافية بين المذاهب الإسلامية.
- كتاب آخر بالفقه وهو (مصباح الفقيه).
- كتاب حقائق الإيمان في معتقدات الشيعة (طبع بعدّة لغات).
- مصابيح الفقيه في الميراث وصنّفه ليكون عوناً للقضاة وهو طريقة إصدار الأحكام.
- كتاب التوحيد والتثليث.
- كتاب الحق اليقين في الرد على الوهابية.
- مجموعة رسائل في أحكام الأرضيين، وفي طهارة أهل الكتاب، وفي التفقّه إلخ...
- كتاب في الأحوال الشخصية.

كما تصدّى الشيخ يوسف الفقيه لمشروع استصدار

قرار بالمحاكم الجعفرية، فكان من المتحمّسين ليكون للطائفة الشيعية الكريمة محاكم جعفرية يعود الناس إليها في حل مشاكلهم من إرث وتثبيت عقود زواجهم وإيقاعات طلاقهم إلخ...

وينقل الشيخ عبد الكريم نجل الشيخ يوسف أنّ والده المقدّس الشيخ يوسف الفقيه ترك حاريص لمدة سنة بسبب فتنة حدثت في البلدة سنة ١٣٤٢هـ، وعلى قاعدة ربَّ ضارة نافعة، كان وجود سماحة الشيخ في بيروت أحد الأسباب الأساسية لتفعيل استصدار قرار بشأن المحاكم الجعفرية، والذي ساعد على ذلك وجود وزير العدل السيد أحمد الحسيني. وصدر قرار بإنشاء المحكمة سنة ١٣٤٣هـ أي قبل ٩٠ سنة، وشاءت الظروف السياسية أن يُعين رئيساً لها العلامة الشيخ منير عسيران وكان همُّ الشيخ يوسف هو أن يصدر هذا القرار بعيداً عمن يكون رئيسها، ولهذا قبِل أن يكون المستشار الأول في هيئة الرئاسة ومعه السيد محمد يحيى صفي الدين والسيد علي فحص والشيخ علي زين العابدين. وبعد الشيخ منير عسيران، عُيّن الشيخ يوسف الفقيه رئيساً للمحكمة.

وينقل نجله أنّ والده دخل السلك القضائي غنياً وخرج فقيراً، ولم يكن همّه من القضاء اقتناص الفرص، ولهذا تقدّم إلى هذا السلك آنذاك بعض العلماء الكبار كالشيخ محمد جواد مغنية، الذي أرسل رسالة إلى رئيس المحكمة الشيخ يوسف الفقيه.

أسّس الشيخ يوسف الفقيه مدرسة لتعليم الطلاب في حاريص وذلك سنة ١٩٢٠م، وكانت أول مدرسة على النهج الحديث، فالناس كانوا يتعلّمون فقط القرآن الكريم والقراءة والكتابة والذي كان يدرس ذلك يُعدّ متعلماً.

ولعلّ السبب في بناء هذه المدرسة، أنّه في أحد الأيام كان في مجلسه في حاريص السيد محمد مرتضى من دير قانون وبعض المشايخ ومنهم ولداه الشيخ محمد تقي الفقيه والشيخ علي، والسيد محمد سأل المشايخ عن إعراب هذا البيت من الشعر:

ما نالني من حُبّها

لا والذي عز وجلّ

وفي الأثناء: دخل رجلٌ يرتدي الزيّ المصري، ضخم الجثة فوقف متأدباً وسلّم فقال له الشيخ يوسف: تفضّل، فقال: حيثُ أنا أم حيث أنتم؟ فقال له الشيخ: حيث أنت. وهنا السيد محمد قال: كلمة وجل هي فاعل لنالني، حيث كان المشايخ قد عجزوا، فالتفت المصري قائلاً: وللبيت وجهٌ آخر وهو أنّ فاعل نالني على الحكاية، ومنه قول الشاعر الفرزدق:

ما قال لا قطُّ إلا في تشهّده

لولا التشهّد كانت لاءَه نعم

فعند ذلك افتتح الشيخ مدرسة ودرّس فيها هذا المصري.

توفي الشيخ يوسف الفقيه في منزله ببيروت في (برج أبي حيدر)، حيث حُمل جثمانه الطاهر إلى جنوب لبنان إلى مسقط رأسه (حاريص) ودفن في ديوانه الذي كان يستقبل به الوافدين بوصية منه، نهار الإثنين في ستة وعشرين جمادى الأولى ١٣٧٧هـ.

نظّمت جمعية الإمام الصادق عليه السلام لإحياء التراث العلمائي

ندوة فكرية تحت عنوان:
«التبليغ الديني الهادف لعلماء جبل عامل»
(العلامة السيد محمد إبراهيم الحسيني نموذجاً)

قدّم للندوة عضو تجمع علماء المسلمين فضيلة الشيخ عادل التركي.

المحور الأول: قراءة في الباعث والأهداف من التبليغ الديني عند علماء جبل عامل.

عالج هذا المحور عضو المجلس المركزي في حزب الله سماحة الشيخ حسن بغدادي وممّا قاله:

بداية، حتى لا أظلم العلماء في المناطق الخارجة عن الحدود الجغرافية لجبل عامل، لذلك نحن نقصد بجبل عامل - عندما نطلقه - المعنى العلمي حيث يشمل هذا العنوان بقية العلماء في جميع المناطق اللبنانية.

موضوع التبليغ الديني عند هؤلاء العلماء، هو امتداد إلى الدور الذي قام به الأنبياء والأوصياء عليهم السلام. يبقى الكلام عن معنى التبليغ الديني؟ ومن هم المعنيون؟ وما هي المهام الموكلة إليهم؟ ولماذا اختلف علماء جبل عامل عن كثير من العلماء في طريقة التبليغ وحدود المسؤولية؟

التبليغ الديني، أساساً هو تبليغ الرسالات السماوية بكل تشكيلاتها وتفاصيلها، من النبوة إلى الخلافة، إلى أصول الدين وفروعه، وهو مهمّة الأنبياء والأوصياء في التشريع وتثبيت دعائم الدين. وبما أننا نتحدث عن الرسالة الإسلامية - التي هي خاتمة الرسالات السماوية وستبقى إلى قيام يوم الدين - كان لا بُدّ من إيجاد صيغة لتبليغ هذه الرسالة ومواكبتها بطريقة مختلفة عن بقية الرسالات.

لذلك كان لا بد من إطلاق دستور يحفظ هذه الرسالة ويستمر بها، فكان ذلك من خلال تثبيتها في إطار الإجتهاد المبني على مصلحة الناس وتطور الزمن. فبعد مرحلة التشريع، كانت المرحلة الثانية وهي تدوين الأحاديث التي صدرت عن النبي (ص) والأئمة الأطهار عليهم السلام، وهذا ما قام به الشيخ الكليني في كتاب (من لا يحضره الفقيه) وأبوه من قبل إبن بابويه القمي، والشيخ المفيد والسيد المرتضى إلخ...

وهذا التدوين كان مبنياً على الإجتهاد في

الفقه، وجاءت المرحلة الثالثة: مرحلة كتابة الفقه، من خلال ما صنّفه الشيخ الطوسي في كتابه (المبسوط) وما كتبه في الفقه المقارن (الخلاف)، واستمر الجمود على ما كتبه الشيخ الطوسي – لمدّة تقرب من قرن – حتى زمن سبطه العلامة إبن إدريس، الذي أقام مجلس البحث والنقد فناقشه وفتح بذلك الباب على المناقشة والحوار، حتى كانت المرحلة الرابعة التي اكتمل فيها الفقه الجعفري في عهد المولى المحقق الوحيد البهبهاني أواخر القرن الثاني عشر للهجري، حيث بلغت تصانيفه ١٠٣ ما بين رسائل مختصرة وكتب مفصّلة. وكان من تلاميذه السيد مهدي بحر العلوم وشيخ الطائفة الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء، ومعهم السيد محمد جواد الحسيني نجل السيد أبو الحسن موسى الحسيني من (شقراء).

هؤلاء الأعلام: كما عملوا على الإجتهاد واستخراج الأحكام الشرعية للمكلفين، عملوا أيضاً على تبليغ هذه الأحكام وإدارة شؤون المجتمع بكل تفاصيله.

– الإجتهاد، وهو يقع على عاتق علماء الدين المجتهدين، كما يجب أن يتصدى للوصول إلى هذه المرتبة من يستطيع ذلك وهو واجب كفائي وقد يصبح عينيّاً.

– أما التبليغ، فيشترك مع العلماء من يستطيع من الناس أن يشارك في هذه المسؤولية، كما قال تعالى «وقفوهم إنهم مسؤولون».

علماء جبل عامل – لعلهم الأكثر في الصنف العلمائي – جمعوا بين التدريس والتصنيف والتبليغ الديني، وإن كان هناك تفاوت في نفس هذا الدور.

كانت ذهنيتهم عندما يذهبون إلى الحوزات العلمية في النجف الأشرف أو الحلة أو كربلاء أو سامراء، محكومة للعودة إلى بلادهم في لبنان للقيام بالوظيفة الدينية، وهذه الوظيفة مكوّنة من عدة عناوين:

الأول: الإستمرار بالنهضة العلمية والأدبية، من خلال تشيّيد المدارس على اختلاف حجمها واستمرارها، وخصوصاً إذا ما أضفنا أنّ الكثير

من هؤلاء العلماء كانوا يُدرّسون الطلاب من دون عنوان (مدرسة)، كما حدث مع الشيخ عبد الحسين صادق في بلدة (الخيام) والسيد عباس أبو الحسن في (معركة)، فقد أخبرني العلامة الشيخ حسن طراد أنه درس عليه (معالم الدين في الأصول). وهناك مدارس كان لها آثاراً كبيرة ومهمة كمدرسة بنت جبيل والكوثرية وشقراء وطيردبا وحناويه، وأنصار بإدارة المقدّس السيد حسن إبراهيم، والنبطية بإدارة السيد حسن يوسف مكي إلخ... مضافاً للتصنيف الذي لو قُدّر أن يُحفظ ذلك التراث لكان من أهم ما كتبه علماء الإمامية، بما يمتلكون من ذهنية وقادة وصفاء روح وقلم رائع ولسان فصيح.

الثاني: بناء المؤسسات والمساجد والحسينيات، وهذا كان من صميم بناء المجتمع ومواجهة الإنحراف وأصحاب المشاريع التي أرادت النيل من الإسلام من خلال إعلان الحرب على علماء الدين، فكان لا بدّ من مواجهة هؤلاء بمشاريع مضادة تربوية واجتماعية وفكرية.

الثالث: الوعظ والإرشاد والصلاة جماعة وإحياء المناسبات الدينية وتعليم الناس الأحكام الشرعية.

الرابع: إصلاح ذات البين، وهذا الدور قام به كافة العلماء مع كثير من المصلحين من أبناء المجتمع، في حل مشاكل الناس ومواجهة التمزق ومواطن الخلل.

الخامس: حلّ الخصومات، وهذا الدور هو عبارة عن الأحكام القضائية، تصدّى له بعض العلماء الذين بلغوا مرتبة الإجتهاد، وهذا يحتاج إلى ثلاثة شروط:

- الإجتهاد وفهم الأحكام.
- القدرة على التطبيق (تطبيق الحكم على الموضوعات).
- قبول الناس بهذا الحكم.

لذا، فالقلة من هؤلاء العلماء الذين مارسوا حلّ الخصومات كالسيد عبد الحسين شرف الدين، والسيد محسن الأمين، والشيخ حسين مغنية، والشيخ كاظم عز الدين.. وهنا أذكر حادثتين حدثتا مع الشيخ كاظم عز الدين كشاهد على هذه الشروط الثلاثة:

الحادثة الأولى: جاءه ذات يوم جماعة ومعهم إمرأة قد توفي عنها زوجها في مرض الموت وقبل الدخول بها، يُطالبون بالإرث ونصف المهر، وهنا حكم الشيخ كاظم عز الدين بعدم ثبوت الحق لها بالإرث ولا المهر، لأنه عقد عليها في المرض الذي

مات فيه. وهؤلاء لم يعجبهم الحكم فذهبوا إلى عالم آخر، فحكم لهم بالإرث ونصف المهر لعدم الدخول، وعادوا بورقة الحكم إلى الشيخ كاظم، وهنا عرف الشيخ كاظم أنّ ذلك العالم لم يلتفت إلى أن الزوج عقد عليها في مرض الموت، وعندما أرسل إليه كتاباً يشرح له المبنى في الحكم، إعتذر ذلك العالم.

الحادثة الثانية: ذات يوم جاءه غرماء من بلدة (العباسية) وكان الغريم متوفى، فحكم بوجوب بيع بيته وتقسيمه على الغرماء، وهنا وصل الخبر إلى عالم آخر، فأرسل كتاباً للشيخ كاظم عز الدين يقول فيه: إن حكمك في بيع المنزل شكّل فضيحة لأنه مخالف لقواعد الفقه وعليك أن تتدارك الأمر قبل انتشار الفضيحة، وهنا أرسل الشيخ كاظم كتاباً له يشرح فيه المسألة: بأنّ كلامك صحيح لو كان المفلّس حياً فلا يجوز بيع بيته، وبما أنه توفي فينتقل هذا البيت للورثة، وعليه فسدّ الدين عن الميت مقدّم على الورثة. ومع الأسف، هذا العالم لم يقتنع بكلام الشيخ كاظم فأرسل إلى علماء النجف الأشرف يستفتيهم بالأمر، فجاء الجواب هناك بإجماع الإمامية على ما ذهب إليه الشيخ كاظم عز الدين.

إذاً، علماء جبل عامل كانت ذهنيتهم محكومة للعودة إلى بلادهم بعد حيازهم على مرتبة عالية من العلم، وهناك قلة كانت تريد البقاء اختياراً ولم تتوفق، كالشيخ موسى أمين شرارة، وكان سلوكه العلمي كأستاذ للبحث الخارج في النجف الأشرف يدلل على بقائه فاضطر للعودة بسبب مرض ألمّ به وتوفي في بنت جبيل بعد ست سنوات. والسيد يوسف شرف الدين والد الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين كان مصمّماً على عدم ترك النجف واضطر للعودة بسبب مرض والده، ولم تعد الظروف تسمح له بالرجوع. والشيخ حبيب آل إبراهيم الذي باع أملاكه في (حناويه) وسكن في الكوت والعمارة من

جنوب العراق عشر سنوات وعاد إلى لبنان بسبب الأوضاع الأمنية بالعراق. نعم، هناك من بقي قصراً كالسيد محمد جواد الحسيني صاحب مفتاح الكرامة وذهب إلى النجف الأشرف بعد النكبة التي حلّت بجبل عامل سنة ١٧٨٣م على يد العثمانيّين، وابن عمه السيد حسين نجل السيد أبو الحسن موسى الحسيني في (شقراء)، والذي كان من كبار الفقهاء، وانتدبته الحوزة العلمية لمناقشة المحقق القمي (صاحب القوانين) في نظرية (حجية مطلق الظن)، أو السادة من آل الصدر، فقد عرض أهالي بنت جبيل بعد رحيل الشيخ موسى أمين شرارة على السيد إسماعيل الصدر جد الإمام السيد موسى الصدر المجيء إلى جبل عامل فرفض، ونِعم ما صنع.

وحتى العلماء الذين كانوا في النجف الأشرف، كانوا يمارسون التبليغ الديني في جنوب العراق، وكان للمرجع السيد أبو الحسن الأصفهاني إعتقاداً كبيراً بهم، فقال ذات يوم لمفتي الهرمل الشيخ موسى شرارة: «**إنّ علماء جبل عامل هم الأقدر على تبليغ الناس الأحكام، فهم يُكلّمون الناس على قدر عقولهم، كما يملكون من الصبر والتجلّد والحكم ما يؤهّلهم للقيام بهذه الوظيفة الشرعية**».

في الختام:

هذا الجبل الذي أنتج هؤلاء العلماء الذين تحمّلوا الصعاب في سبيل المحافظة على جبل عامل العلمي والأدبي والجهادي، وواجهوا التحديات والإحتلالات وخصوصاً الإحتلالين الفرنسي والإسرائيلي، يقف اليوم في الصف الأول المدافع عن الإسلام والمسلمين، وحتى عن بقية الأديان والمذاهب الإسلامية أمام الإحتلال والعنف التكفيري الذي هو الورقة الأخيرة التي سيستخدمها أعداء الأمة والإنسان، لبثّ الكيد والبطش والتضليل. وجبل عامل بما ميّزه الله تعالى عن غيره، هو الأقدر على المواجهة وكشف الحقائق.

نحن في لبنان أمام تحديات كبيرة ما كنا لنصمد أمامها وننتصر لولا تلك الجهود والتضحيات، لقد انتصرنا على العدو الإسرائيلي بمعادلة الجيش والشعب والمقاومة، وهذه المعادلة نحتاجها لتثبيت عملية الردع ولمواجهة التكفيريّين (الوجه الآخر للإحتلال).

ليست الخسارة الحقيقية أن نخسر شهداء من هذا الوطن من الجيش والشعب والمقاومة، لكن الخسارة هي أن نتخلى عن دعم هذه المؤسّسة العسكرية الوطنية ونتآمر عليها ونتركها بالعراء أمام مخالب الذئاب، فنكون قد عرضنا كل الوطن للخطر.

المطلوب إجماع وطني صادق على حماية الجيش، وعلى الجميع أن يعرف أن تجربة أربع سنوات من الهزائم المتتالية تكفي لإعادة النظر في سياستهم، وأنّ الذي راهنوا عليه في زمن القوة إنهزم، وعليهم أن يخرجوا من كل رهاناتهم فالمعادلة تغيّرت.

كما تحدث إمام بلدة الدوير السيد كاظم

إبراهيم، وممّا جاء في كلمته:

إنّنا إذ نؤرّخ لعلمائنا في جبل عامل، وإنما نعتمد على بعض المصادر المكتوبة وهي قليلة في الغالب، (باستثناء بعضهم الذين تركوا مؤلفات أو كتابات تضيء على سيرتهم ونشاطهم)، لذلك فنحن بالنسبة لعمّنا العلامة المقدس السيد محمد إبراهيم الحسيني، فإنّنا سنعتمد بشكل كبير على ما سمعناه مشافهة وما حفظته الذاكرة من الآباء والأجداد، أو من أخبارٍ ما زالت محفوظة ومتداولة على ألسنة من عاصروه أو من حفظ عنهم من الأبناء والحفدة.

إذاً، هو السيد محمد إبن السيد حسن آل إبراهيم الحسيني. ولد في بلدة (أنصار) سنة ١٨٧٠م وتوفي ودفن في (أنصار) إلى جانب أبيه المقدّس السيد حسن إبراهيم في القبة المعروفة التي بناها أهل البلدة آنذاك لتكون مقبرة للسيد حسن الذي توفي سنة ١٩١١م، وقد توفي السيد محمد إبراهيم في سنة ١٩٤٦م. درس على أبيه في النميرية وأنصار ثم هاجر إلى النجف الأشرف مع أخيه السيد مهدي، فدخلاها في شهر جمادي الأولى من سنة ١٣١٠هـ الموافقة لسنة ١٨٩٠م.

قرأ البحث الخارج مع أخيه على الآخوند وعلى شيخ الشريعة الأصفهاني وعلى الشيخ علي رفيش والشيخ محمود ذهب الظالمي، وهذان يُعدان من كبار مدرسي العرب لدروس الخارج في تلك الفترة. وكذلك درس على السيد إسماعيل الصدر الشهير (بالصدر). وقد أجيز من أساتذته بالإجتهاد المطلق.

عاد إلى جبل عامل عالماً فقيهاً ومجتهداً مشهوداً له بالعلم وسرعة البديهة وقوة الذاكرة بحيث أنه كان يشير في بعض الأحيان إلى الرواية أوالحديث ويذكر رقم الصفحة من الكتاب الموجودة فيه،

ويحكي عنه أبناء جبل عامل وبعلبك حكايات كثيرة تكاد تضعه في مصاف الأبطال الشعبيّين الذين تحوك العامة حولهم وتنسج حكايات وأخباراً قد تكون غير واقعة، ومن ذلك المبالغة في عدد النساء اللاتي تزوج بهنّ سواء بالدائم أو بالمنقطع، ولذلك المبالغة في قوته البدنية، ولكن الثابت والمتواتر ما تميز به من جرأة وشجاعة، حتى كانت له طيبة ورهبة في نفوس الناس وفي نفوس زملائه من كبار الفقهاء والعلماء.

شارك السيد محمد إبراهيم بعد عودته إلى جبل عامل في النشاطات الدينية والإجتماعية والسياسية، حيث كان عضواً في جمعية (العربية الفتاة) التي كان يرأسها عبد الكريم الخليل، وقد سيق إلى الديوان العرفي في (عاليه) بصفة شاهد، حيث نجا من حكم الإعدام الذي أنزله السفاح جمال باشا في ثلة من المجاهدين عام ١٩١٦م.. وقد تقلّد منصب القضاء في مرجعيون وفي جبل لبنان فترة من حياته، حيث يروي بعض قدامى المحامين الذين حضروا ورافعوا أمامه في جلسات المحاكم عندما كان قاضياً حكايات تدل على علمه وذكائه وقوة ذاكرته وسرعة خاطره، وقد اشتهر بإقامة الحدود وخصوصاً بعد تقلده منصب القضاء. ولقد واجه الإقطاع وظلمه في حينه وكان جريئاً في تلك المواجهة مما عرّضه لملاحقة الفرنسيين في فترة الإنتداب.

وحيث أنّ عنوان هذه الندوة هو حول التبليغ الديني الهادف لعلماء جبل عامل، فإني أرى الكلام حول الجمعية التي عمدت مجموعة من علماء جبل عامل إلى تأسيسها وكان هدفها الأساسي إنشاء كلية من إحدى حواضر جبل عامل تعنى بتعليم الجيل الناشئ العلوم الدينية إلى جانب علوم العصر مقتفين بذلك آثار جمعية المقاصد الإسلامية التي نشأت قبل ذلك بكثير في زمن الحكم العثماني، حيث لم يكن يجرؤ أحد من الشيعة على القيام بمثل هذه الخطوة إلا بعد زوال حكم الأتراك وإعطاء الحريات للطوائف في إقامة مؤسّساتها التعليمية، لذلك ففي سنة ١٩٣٠م تقريباً قامت هذه الجمعية بإصدار بيانها الأول وذلك في محرم من سنة ١٣٤٩هـ وهو مكون من عشرين مادة ومنشور في أحد أعداد مجلة العرفان. وقد أنتخب العلامة الشيخ حسين مغنية رئيساً للجمعية، والسيد مهدي إبراهيم أميناً لصندوقها. وشكّلت لجان لجمع التبرعات من أجل تحقيق مشروع الجمعية، حيث بلغ مجموع المال ألف ليرة ذهبية وهو مبلغ كبير وضخم في ذلك الزمان، ويدل على مدى تحمّس الموسرين من الشيعة آنذاك للنهوض بالطائفة ومدى ثقتهم بعلمائهم وفقهائهم ومنهم من نتحدّث عنه في هذه الندوة، السيد محمد إبراهيم الذي كان أحد المؤسسين لهذه الجمعية. ولكن فكرة إنشاء كلية علمية اصطدم بعقبات كثيرة حالت دون تنفيذها، وفي الثامن من ذي الحجة من سنة ١٣٦٣هـ الموافق ١٩٤٤م قامت جمعية العلماء بتسليم المبلغ المتبقي في صندوقها

وهو ٥, ٣٠٧٤ ليرة إلى رشيد بيضون بوصفه رئيساً للجمعية الإسلامية الخيرية العاملية ليصرفها في بناء الكلية العاملية في رأس النبع في بيروت، وكان المبلغ مودعاً عند حمزة أفندي بيضون ونجيب بك عسيران ووقّع علماء الجمعية على قرار التسليم هذا ومنهم السيد محمد إبراهيم وأخوه السيد مهدي.

إنّ إنشاء هذه الجمعية وما توخته من أهداف أهمها إنشاء كلية علمية تدرس الناشئة علوم الدين إلى جانب علوم العصر في تلك الفترة من تاريخ جبل عامل، تدلل بشكل لا لبس فيه، إلى مدى اقتناع هذا الجيل من العلماء إلى أهمية تغيير أسلوب التبليغ الديني، ومماشاة العصر الذي بدأت تغزوه ثقافة الغرب، ولغته، بحيث كان أبناء الموسرين من الشيعة يدخلون أبناءهم إلى مدارس الغرير والراهبات والإنجيلية (الأميركان) ليتعلموا اللغة الأجنبية التي كان إتقانها يفتح أمامهم مجالات العمل في وظائف الدولة وفي القطاع الخاص، وهم يتخرّجون من هذه المدارس لا علاقة لهم بأي ثقافة دينية...

نلاحظ أنّ عملاً جماعياً من قبل علماء جبل عامل في بدايات القرن الماضي لم يكتب له النجاح، لذلك عمد كل واحد من هؤلاء العلماء إلى التصدي بنفسه إلى التبليغ والإرشاد والتوجيه.. وكان الناس يكنّون الإحترام والثقة لأكثرهم، فكانوا يقصدونهم في جلّ أمورهم الدينية والدنيوية، ويتحاكمون

عندهم ويطبق أكثرهم ما يقضون به، فكانت بذلك بيوتهم آنذاك ودواوينهم تخفف الكثير من العبء عن المحاكم المدنية التي أنشأها الفرنسيون آنذاك، هذا كان دأب أكثر العلماء، ثابتون في قراهم وبيوتهم والناس يَفِدون إليهم... ويختلف العلامة السيد محمد إبراهيم عن الأكثرية الغالبة من العلماء والفقهاء، بأنه كان هو الذي يقصد الناس متنقلاً على فرسه من بلد إلى بلد، من بلاد جبل عامل حتى بلاد بعلبك وجبيل يقصدهم بنفسه ليعلّمهم ويعظهم ويحل كثيراً من مشاكلهم المستعصية، حتى أنّ عمي المرحوم السيد محمد علي إبراهيم دخل إلى سلك القضاء الشرعي سنة ١٩٥٠م، وعُيِّن في حينها في بعلبك. وروى له أهل هذه المدينة عندما عرفوا أنّ السيد محمد إبراهيم هو عمه أخو أبيه، بأن خلافاً مزمناً بين عائلتين ظل قائماً ردحاً من الزمن ولم يستطع أحد

أن ينهيه أو يحله، استطاع السيد محمد إبراهيم بشجاعته وسطوته الدينية أن ينهي هذا الخلاف ويعقد الصلح بين هاتين العائلتين.

لقد عاش السيد محمد إبراهيم قدس سره حياة عريضة زاخرة بالعمل التبليغي والنشاط الإجتماعي والديني، حتى أننا بعد كل هذا الزمن الذي مرّ على وفاته لا نكاد نذهب إلى قرية من جبل عامل من أقصاه إلى أقصاه إلا ونجد بين كبارها من عرفوه وعاصروه ويروي لك حكاية أو أكثر عن علمه وقوّته وشجاعته.. فقد كان جريئاً في إقامة بعض الحدود، وفي حل بعض المشكلات المستعصية والتي لم يكن يجرؤ على الإقدام عليها فقهاء آخرون معاصرون له. وخصوصاً في قضايا (طلاق الحاكم) أو من غاب عنهن أزواجهن وانقطعت أخبارهم ممن هاجروا إلى الأمريكتين قبل الحرب العالمية الأولى وأثناءها في سنوات المجاعة.

ينقل السيد محسن الأمين عن مدرسة أنصار أن السيد محمد إبراهيم قد تابع إحياء هذه المدرسة بعد وفاة أبيه السيد حسن إبراهيم، ثم توقفت هذه المدرسة وأفل نجمها وطمس أثرها.

أختم حديثي عن السيد محمد إبراهيم رحمه الله ببعض الحكايات التي رواها أحد أبناء مرجعيون.. منها أنه في سنة ١٩٢٥م عندما وقعت معارك بين النصارى والدروز في منطقة حاصبيا ومرجعيون، تهجَّر قسم كبير من المسيحيّين إلى النبطية وقراها، ومن هذه القرى بلدة زفتا حيث لجأ كثيرون إلى حسين بك الدرويش من الأسرة الصعبية، ففتحت لهم أبواب بيوت كثيرة، ولكن المشكلة التي أقضت مضجع أبناء زفتا حينها هي في قطعان الخنازير التي جاء بها أصحابها معهم، وأنها سوف ترد إلى بركة زفتا لتشرب، وكاد أهل زفتا يطردون المسيحيين من بلدتهم لو لم يلجأ حسين بك الدرويش حينها إلى السيد محمد إبراهيم واستصدر منه فتوى بجواز أن تشرب الخنازير من البركة وأنها لا تتنجّس، وأما الحكاية الثانية عن أحد أبناء مرجعيون يقول: كنت في مدينة النبطية، وأريد الذهاب إلى مرجعيون، فركبت في سيارة للأجرة ووجدت أحد ركابها السيد محمد إبراهيم الذي كان قاضياً لمحكمة مرجعيون الجعفرية، وسارت بنا السيارة حتى عبرنا جسر الخردلي وفي بداية الطلعة، توقفت السيارة وتعطلت، وحاول السائق أن يعيد تشغيلها بشتى الوسائل فلم يفلح، فنزلنا من السيارة وجلسنا إلى جانب الطريق وكان يمر في ذلك الزمان سيارة كل عدة ساعات مليئة بالركاب، يقول هذا المسيحي للسيد محمد باقر إبراهيم الذي تعرف إليه وعرف أن المرحوم السيد محمد إبراهيم هو عمه..

يا سيد، نظرت إلى هذا السيد وقف إلى جانب الطريق وفرش عباءته وأخذ يصلي ونحن ننظر إليه، ودعا بدعاء رافعاً يديه إلى السماء، ولما انتهى من صلاته، نظر إلى السائق وقال له قم ودوّر

السيارة، أجاب السائق يا مولانا ما في أمل منها، فصاح بلى: قلت لك قم وشغلها، فأذعن السائق وأدار مفتاح التشغيل فدارت، فقال على بسم الله اركبوا ووصلنا إلى مرجعيون ومن يومها يا سيد صار عندي اعتقاد أن عمك هذا قدّيس.. لأننا لولا صلاته ودعاؤه لنمنا في الطريق..

هو ذا غيض من فيض من سيرة السيد محمد إبراهيم الزاخرة بالعمل الديني والإجتماعي، حيث كان مرجعاً للناس في جبل عامل يلجأون إليه في كل الأمور الصعبة والمعقدة التي عندما كانت تعترضهم يقولون: ليس لها غير السيد محمد إبراهيم فهو القادر على تخليصنا من هذه المشكلة..

رحمه الله وأسكنه الفسيح من جنته والشكر لحضوركم هذه الندوة التي كان الفضل في إقامتها لجمعية الإمام الصادق عليه السلام لإحياء تراث علماء جبل عامل بمبادرة من الأخ الفاضل الشيخ حسن بغدادي حفظه الله.

إلتقى م. الملف العديد من الشخصيات العلمائية والفكرية من مختلف المناطق، وذلك في مقر جمعية الإمام الصادق عليه السلام في بلدة أنصار الجنوبية.

وجّه إليه كلاماً غير مناسب

فذهب إليه قبل الفجر يعتذر منه

إنه العلامة الحجة الشيخ حسن العسيلي قدس سره نجل العلامة الحجة الشيخ محمد العسيلي من بلدة (الشهابية) من جبل عامل. كان في النجف الأشرف يُتابع تحصيله العلمي وفي سنة ١٩٥٥م، قرّر سماحة العلامة الشيخ محمود كوثراني إمام بلدة (الغسّانية) وهو نجل العلامة الحجة الشيخ حسين كوثراني، الذهاب إلى النجف الأشرف لاستكمال الدرس، وكان من عادة الحوزة اللبنانية أن يجتمعوا ليلة الجمعة كونها ليلة تعطيل فيتذاكرون وهم على اختلاف طبقاتهم العلمية فهناك من يدرس البحث الخارج وآخر يدرس السطوح أو المقدمات، وأفضل القوم يتصدّر المجلس وإليه ينتهي فصل النقاش. وفي إحدى الجلسات طُرحت مسألة علمية ودار حولها النقاش وكانت من المرتبة العالية، وإذ بالشيخ محمود كوثراني يتدخّل ويُبدي رأيه بالمسألة، فهو إبن عالم ودرس المقدمات في لبنان ويمتلك جرأة المناقشة في هكذا محافل، وإذ بالشيخ حسن العسيلي يرد عليه قائلاً: «أنت إسكت شو بعرفك» فما كان من الشيخ محمود إلّا أن أجابه بروح الشاب المُعتد بنفسه: أنا أعرَفْ مِنكَ ومِنْ أبيك، وساد الوجوم على وجه الجميع وانفض المجلس وعاد الكل إلى بيته. هنا الشيخ محمود واخذ نفسه كثيراً على هذا الجواب المتسرّع، ولم يكن ينبغي أن يصدر منه هذا الكلام الحاد لشخص أكبر منه وأفضل علمياً، فقرّر بعد الندم الشديد أن يذهب قبل الفجر إلى حضرة أمير المؤمنين عليه السلام حيث كان يأتي الشيخ حسن العسيلي لصلاة الليل بالحرم المطهر، وهناك يقوم بالإعتذار منه واستسماحه.

وبينما الشيخ محمود يرتدي ثيابه ويهمّ بالخروج وإذا بالباب يُطرق ففتح وإذا بالشيخ حسن العسيلي على الباب قادماً ليعتذر من العبارة القاسية التي وجّهها إليه.

هذه الروحية العالية التي لا يمكن أن ينام صاحبها وهناك أخ مؤمن منزعج منه، فضلاً عن أن يكون قد استغابه أو تجنّى عليه أو صنع له نميمة مع الآخرين، فنجد هنا الشيخ حسن والشيخ محمود لم يغمض لأي منهما جفن قبل أن يتسامح كل واحد من الآخر.